

د. جيمس س. سبيجل، الأخلاق المسيحية، الجلسة 3 النفعية

جيم سبيجل وتيد هيلدبراندت © 2024

هذا هو الدكتور جيمس إس سبيجل في تعاليمه عن الأخلاق المسيحية. هذه هي الجلسة الثالثة، النفعية

حسناً، فلنبدأ في مسحنا للنظريات الأخلاقية الرئيسية، وسنبداً بالنفعية

إن الفيلسوفين الأكثر شهرة فيما يتعلق بتاريخ الفكر النفعي هما جيريمي بينثام وجون ستيوارت ميل. كان بينثام هو مؤسس الفكر النفعي الحديث، وجون ستيوارت ميل، الذي كان والده صديقاً جيداً لجيريمي بينثام. وربما كان ميل هو العالم الأكثر شهرة الذي دافع عن النفعية

إنها نظرية تعود إلى الفيلسوف القديم أبيقور، الذي كان من أتباع مذهب اللذة. ومذهب اللذة هو الرأي القائل بأن الخير الأسمى للبشر هو المتعة، وأنها يجب أن نعظم المتعة لأنفسنا وللآخرين. ويؤكد مذهب اللذة النفعي، الذي طوره بنثام لأول مرة، الادعاء المركزي بأن السعادة، السعادة البشرية، هي الحياة الأكثر متعة

وهكذا، فقد اعتقد بنثام، مثل إبيقور، أن أفضل نهج للتعامل مع الأخلاق هو الاعتراف بأن المتعة هي المعيار الأخلاقي. وهذه حقيقة موضوعية. فنحن نختبر أشياء ممتعة وأخرى مؤلمة

إننا نختبر مجموعة كاملة من أنواع الملذات المختلفة فضلاً عن الآلام. وبما أن هذا شيء مرغوب فيه على نطاق عالمي، فإن الجميع يريدون المتعة ويريدون أن يعيشوا حياة ممتعة، ويبدو أن هذا معيار واعد للأخلاق. ماذا لو كان الجميع يهدفون إلى تعظيم المتعة لأكثر عدد من الناس؟ ألا يؤدي هذا إلى حياة سعيدة لأكثر عدد من الناس؟ هذه هي الحجة الأساسية للنفعية

إن المذهب النفعي الكلاسيكي، كما يطلق عليه عادة، أو المذهب النفعي القائم على الفعل، يطبق هذا المعيار على كل فعل أو سياسة فردية قد نفكر في تأييدها أو متابعتها. وعلى هذا فإن الادعاء الذي يطرحه جيريمي بينثام هو أنه يتعين علينا أن نقيم كل فعل وفقاً لما يسميه مبدأ المنفعة، والذي يقول إنه المبدأ الذي يوافق أو يرفض كل فعل وفقاً للميل الذي يبدو أنه يميل إلى زيادة أو تقليل السعادة. وهذه إذن فكرة أساسية

من بين نقاط القوة العظيمة لنظرية المنفعة أنها سهلة الفهم. إنها نظرية يسهل فهمها للغاية. سننظر في بعض النظريات الأخرى، مثل كانط، وأخلاقيات الفضيلة، ونظرية العقد الاجتماعي، والقانون الطبيعي، وما إلى ذلك، والتي قد تحتوي على بعض المفاهيم الأكثر تحدياً

ولكن ما الذي قد يكون أبسط من هذا؟ التصرف بطريقة تعزز المتعة والسعادة، أليس كذلك؟ حاول تجنب الأشياء المؤلمة وحاول الامتناع عن التسبب في ألم الآخرين. هذه فكرة أساسية هنا. الآن، هناك سمة مميزة مهمة لمذهب النفعية عند بينثام وهي أنه يؤكد على المساواة في الاعتبار للجميع

إن أي شخص، أي كائن، ليس البشر فقط، بل أي كائن واع قادر على تجربة المتعة والألم، يحتاج إلى الاهتمام، الواجب، أليس كذلك؟ ولا توجد متعة أو ألم لدى أي إنسان أكثر أهمية من متعة أو ألم أي شخص آخر. لذا هناك نوع من الالتزام المتساوي للغاية هنا. وهذا يجذب الكثير منا أيضاً

والآن، ما يميز مذهب النفعية عند بنثام عن مذهب اللذة القديم عند أبيقور، على سبيل المثال، هو أنه طور ما يسمى بحساب اللذة والألم. والآن، يعيش بنثام في فترة حديثة، في بداية العصر الحديث، حيث انطلقت

العلوم، واكتشف العلماء فائدة الرياضيات في فهم عالمنا، أليس كذلك؟ والآن، قرر بنثام أن هذا قد يكون مفيداً للغاية عندما يتعلق الأمر بالتفكير في الأخلاق. ولنجعل هذا الأمر علمياً قدر الإمكان

لذا فقد طور حساب اللذة والألم، الذي يقيم اللذة أو الألم الناتج عن كل فعل وفقاً لعدد من المعايير. وهناك سبعة منها. أحدها هو الشدة، حيث نسأل عن مدى قوة الإحساس. ما مدى شدة الألم أو اللذة؟ المدة: إلى متى تستمر اللذة أو الألم؟ اليقين: ما مدى احتمال أن يؤدي اتخاذ الفعل إلى الألم أو اللذة؟ إن القرب كلمة لا نسمعها كثيراً، لكن هذا يتعلق بمدى قرب الوقت الذي ستتبعه اللذة أو الألم

ولكن متى سيحدث هذا؟ إن الخصوبة مصطلح غير شائع آخر يتعلق فقط بما إذا كانت المتعة أو الألم في هذه الحالة سيؤديان إلى أنواع أخرى من المتعة أو الآلام. والنقاء، سواء المتعة أو الألم، يختلط بالإحساس المعاكس. فهل سيكون الأمر ممتعاً في الغالب ولكنه مؤلم إلى حد ما أيضاً، أو العكس؟ أم أنه ممتع تماماً أو مؤلم تماماً؟ إذن، فإن مدى المشكلة يتعلق بعدد الأشخاص الذين سيتأثرون

اعتقد بينثام أنه يمكنك في الأساس تعيين قيم عددية، موجبة أو سالبة، لكل من هذه الفئات عند التفكير فيما إذا كان اتخاذ مسار عمل معين هو الصواب. لنفترض أنني أحتاج إلى كتاب لدورة دراسية سأحضرها. لا أستطيع تحمل تكاليفه الآن، لذا أفكر في سرقة نص جاري

إنها رسالة نصية تكلف 70 أو 80 دولاراً. هل سيكون هذا أمراً مناسباً؟ حسناً، بالنسبة لي، سوف يسبب ذلك بعض المتعة. وآمل أن يكون ضميري سيئاً للغاية بحيث يزعجني بشدة

هذا أمر مؤلم. ومن المؤكد أنه سيسبب ألماً لشخص آخر سيستمر لفترة معينة من الزمن. ومن المؤكد أنهم سيعانون من هذا الألم على الفور، ثم إلى حد ما، بشكل دائم

حتى لو تمكنوا من تجاوز الأمر لعدة أيام، فسوف يزعجهم ذلك. وربما يؤدي ذلك إلى آلام أخرى. وعندما يكتشف الآخرون أن كتاب ذلك الشخص قد سرق، فسوف يزعجهم ذلك نفسياً

وحتى سعادتي سوف تختلط، إن شاء الله، مرة أخرى، إذا كان لدي ضمير، بقدر معين من الألم، مع العلم أن هذا الأمر أزعج الكثير من الناس. إن مدى تطبيق هذا المعيار السابع مهم. وسوف يكتشف الناس هذا الأمر

يجب أن يكون واضحاً أنني لا ينبغي لي أن أسرق كتاب هذا الشخص. سيتسبب ذلك في الكثير من الألم. والإزعاج النفسي لكثير من الناس. لن يجلب لي ذلك أي متعة على الإطلاق

ربما كان من الأفضل أن أشتري الكتاب أو أستعير منه أو أطلع عليه من إحدى المكتبات أو أي مكان آخر. هذه حالة سهلة إلى حد ما، ولكن نفس حسابات المتعة والألم يمكن تطبيقها على قضايا أخلاقية أكثر صعوبة. وهنا يرى بنثام أن هذا هو الطريق الأكثر وعداً لاكتشاف الحقيقة الأخلاقية

ومرة أخرى، نعود إلى مسألة المساواة من حيث إمكانية تطبيق هذه الحسابات على قياس الملذات والآلام وتحديد السعادة الإجمالية. وبوسعنا أن نطبق هذا على الحيوانات أيضاً، وهو الأمر الذي لم يكن ليثير اهتمام كثير من الناس في أيام بينثام أو يثير قلقهم إلى حد كبير. ولكن بالنسبة لنا اليوم، فإننا ندرك أن رفاهة الحيوان تشكل أمراً بالغ الأهمية

إن كل من يمتلك حيواناً أليفاً يعرف أن القطعة أو الكلب أو الماعز أو الدجاجة أو البقرة تشعر بالألم؛ فهي تشعر بالألم والمتعة، وبالتالي فهي تستحق قدرأ معيناً من الاحترام. والآن، من وجهة نظر لاهوتية مسيحية

ووجهة نظر كتابية، نعلم أن البشر فقط هم الذين خلقوا على صورة الله. لذا فإن قيمة الحيوان أقل كثيراً من قيمة البشر، ولكنها ذات قيمة رغم ذلك، وآلامها ومتعتها مهمة.

إن إحدى نقاط القوة أو الأصول التي تتمتع بها نظرية النفعية هي أنها تضع في اعتبارها الحيوانات وآلامها ومتعتها، وتدرك أننا في حاجة إلى أن نوليها قدرًا من الاحترام الأخلاقي. وبشير كثيرون إلى بنثام باعتباره الأصل التاريخي لما نسميه حركة حقوق الحيوان أو حركة رعاية الحيوان اليوم. وفيما يتصل بالحيوانات، فإن أحد الانتقادات الرئيسية لنظرية النفعية هو أنها عقيدة تستحق أن ننتقدها.

إن القول بأن البشر لا يملكون خيراً أعلى من المتعة يضعنا على نفس المستوى الذي يتمتع به الخنزير، على سبيل المثال، والذي تتضمن متعته في الحياة الأكل والتزاوج والتمرغ في الوحل. ما الذي يجده الخنزير ممتعاً؟ كما تعلمون، إنها الملذات الوحشية من هذا القبيل. من المؤكد أن البشر في مستوى أعلى من الحيوانات. والفلاسفة يدركون هذا عموماً.

ولكن تحديد الخير الإنساني باعتباره مجرد مسألة متعة، زعم كثيرون في أيام بينثام وميل أن هذا في واقع الأمر يشكل إهانة للبشر. وعلى هذا فقد انتقد جون ستيوارت ميل، الذي خلف بينثام باعتباره المؤيد الفلسفي الرئيسي لنظرية النفعية، هذا الاعتراض أو رد عليه بقوله إن هذا الانتقاد في حد ذاته يمثل الطبيعة البشرية في ضوء مهين لأنه يفترض، على حد تعبيره، أن البشر غير قادرين على التمتع بأي متعة باستثناء تلك التي يتمتع بها الخنازير. ولكن الحقيقة هي أن البشر يتمتعون بمتع أعلى، ومتع متفوقة نوعياً.

لماذا؟ لأننا نتمتع بقدرات أعلى. فنحن نتمتع بقدرات معرفية لا تتمتع بها الخنازير أو الثدييات الأخرى. كما نتمتع بقدرات عاطفية وقدرات علاقاتية لا تتمتع بها هذه الحيوانات.

إن هذا الأمر لابد وأن يُدرج في هذه النظرية بطريقة أو بأخرى. ولهذا دافع ميل عما أطلق عليه منذ ذلك الحين "اللذة النوعية"، وهو تقدم على نسخة بنثام من النظرية. فنحن لدينا أنواع أخرى من الملذات، ليس فقط ملذات الإحساس، بل أيضاً ملذات الفكر والعاطفة والخيال وحتى الملذات الأخلاقية.

نشعر بقدر من الفرح والرضا عندما نرى العدالة تتحقق. لا يشعر أي كلب بذلك. ولا يستمتع أي كلب بلعبة الشطرنج.

أو لعبة البوكر. فهذه Settlers of Catan أحب لعبة الشطرنج. وأحب بعض الألعاب الأخرى مثل لعبة متعة فكرية، المتعة الفكرية التي تتحقق من قراءة كتاب ومشاهدة فيلم جيد.

إن كلبي أوستن، على الرغم من ذكائه، لا يستطيع أن يختبر متعة الشطرنج أو لعبة الطاولة أو لعبة البوكر. وعلى هذا فإن هذه المتع أعلى مستوى من المتعة التي يتمتع بها البشر مقارنة بالمتعة التي لا يتمتع بها الحيوان. وهذا يثير التساؤل حول كيفية معرفة المتع التي تتفوق نوعياً على المتع الأخرى. إن الاختبار النوعي الذي وضعه ميل هنا يتلخص في أن وجود متعتين، إذا كانت هناك واحدة يفضلها جميع أو جميع من لديهم خبرة في كلتا المتعتين، بصرف النظر عن أي شعور بالالتزام الأخلاقي بتفضيلها، هي المتعة الأكثر استحساناً.

وهكذا نستطيع أن نقرر أي المتع أفضل أو أسوأ من غيرها. وإذا سألتني عن المتعة الأسمى، متعة قراءة كتاب لدوستوفسكي أو تناول طبق من السباغيتي، مهما كانت جودة طبق السباغيتي الذي تعدّه زوجتي، فإنها لا تقارن بالمتعة التي أحصل عليها عند قراءة رواية "الإخوة كارامازوف". إنها متعة أعلى.

قراءة الشعر في مقابل ممارسة ألعاب الفيديو أمر يثير الكثير من الانتقادات من جانب الطلاب. ولكنني أرى أن المتعة الأعظم، على افتراض أن الشعر ممتاز، شعر جون دون أو ويليام شكسبير، سوف تكون متعة أعلى من أي متعة قد تحصل عليها من ممارسة لعبة جراند ثيفت أوتو أو أي لعبة فيديو أخرى.

لذا فإن الأشخاص الذين جربوا كلا النوعين من الملذات سوف يعطون هذه الاستجابات باستمرار. ويقول ميل إن هذه هي الطريقة التي تعرف بها أي الملذات هي الأفضل. ولهذا السبب يقول ميل، كما يقول، إنه من الأفضل أن تكون إنسانًا غير راضٍ من أن تكون خنزيرًا راضيًا.

من الأفضل أن تكون مثل سقراط غير راضٍ عن أن تكون أحمقًا راضيًا. وإذا كان للأحمق أو الخنزير رأي مختلف، فذلك لأنهما لا يعرفان سوى جانبهما من المسألة. هناك عدد من العوامل المتعلقة بالتجربة الإنسانية، مثل ذكائنا وعواطفنا، وحتى عندما نشعر بالسوء، فإن هذه الحالة تكون متفوقة نوعيًا لمجرد أننا نتمتع بهذه القدرات الأعلى.

الآن، قد يكون من الممكن مناقشة أو حتى إثارة الجدل في بعض الدوائر حول هذا الادعاء بشأن تفوق البشر. كانت هذه وجهة نظر ميل. لكن النقطة الرئيسية التي يطرحها هنا هي أن هناك أنواعًا معينة من الملذات التي تتفوق فقط بسبب جودتها.

الآن، هناك اعتراض يطرحه البعض هنا، ماذا عن الأشخاص الذين يرفضون الملذات الأعلى ثم يسعون وراء الملذات الأدنى؟ ماذا تقول عن الأشخاص الذين يقضون كل وقتهم في لعب ألعاب الفيديو ولا يقرؤون الكتب على الإطلاق؟ إنهم لا يهتمون حتى بالأفلام الرائعة. أو الأشخاص الذين يأكلون الوجبات السريعة ويقولون لا شكرًا للمأكولات الفاخرة. غير مهتمين.

أفضل أن أتناول برجر الوجبات السريعة والبطاطس المقلية مرة أخرى. هناك أمثلة عديدة لأشخاص يفضلون هذه الملذات الدنيا على الملذات العليا. ماذا يقول ميل عن ذلك؟ يقول إن هذا يدل على ضعف في الشخصية.

فقدان القدرة على الاستمتاع بالمتع الأعلى أو على الأقل فقدان القدرة على تقدير المتع الأعلى على حقيقتها بسبب الإدمان على المتع الأدنى. من الممكن أن يصبح الإنسان مدمنًا على المشروبات الغازية، والوجبات السريعة، ورقائق البطاطس، وألواح الحلوى، وكل أنواع الأطعمة السكرية. أحيانًا، أرى الناس في متجر البقالة، يشترون كميات ضخمة من مشروب ماونتن ديو وجميع أنواع رقائق البطاطس وكرات الجبن وما إلى ذلك. وأقول لهم: يا إلهي، إنهم مدمنون حقًا على هذه الأطعمة غير الصحية.

يقول ميل إن هذا ضعف في الشخصية، وهذا هو طبيعة الإنسان، فنحن معرضون لشتى أنواع الإدمان.

المشكلة فينا في هذه الحالة، وليست مشكلة في نظريته أو وجهة نظره. في الواقع، ينبغي تفضيل الملذات الأعلى، وإذا فضلنا هذه الملذات الأدنى، فالمشكلة فينا، وليس في نظريته.

يقول بعض الأشياء عن الحياة الراضية وما يعنيه أن تكون شخصًا سعيدًا حقًا. إن المكونين الرئيسيين للحياة الراضية هما الإثارة والهدوء. الحياة السعيدة، الحياة المتوازنة والسعيدة، هي تلك التي تتميز في الغالب بالهدوء والسلام والوثام في حياتنا مع تجارب الإثارة العرضية.

لا تريد الكثير من الإثارة في حياتك. لا يستطيع جهازك العصبي المركزي تحمل ذلك. أنت تريد في الغالب الهدوء، والألم البسيط، ثم فترات من الإثارة.

يقول إن السببين الرئيسيين للحياة غير الراضية هما الأنانية والافتقار إلى الثقافة العقلية. إنه تحليل مثير للاهتمام هنا. المشكلة مع الأشخاص غير الراضين في معظم الحالات، أو في كثير من الحالات، كما يقول، هي أنهم أنانيون.

إنهم لا يهتمون باحتياجات الآخرين بالقدر الذي ينبغي لهم، ولم يطوروا أنفسهم معرفيًا. ولم يطوروا عقولهم بالقدر الذي ينبغي لهم. إذا كنت تفعل هذين الأمرين، فلن تشعر بالملل بالتأكد، وستجد الرضا في حياتك.

يقول إن العقل المثقف، العقل الذي يتم تدريبه على ممارسة قدراته، يجد مصادر اهتمام لا تنضب في كل ما يحيط به. أليس هذا صحيحًا؟ إن الأشخاص الذين يتمتعون بثقافة واسعة ومعرفة واسعة بجميع أنواع الموضوعات سوف يجدون المزيد من التحفيز في حياتهم اليومية وتجاربهم مقارنة بالأشخاص الذين لا يتمتعون بهذه المعرفة. إذا كانت لديك اهتمامات أكثر، فإن احتمالات شعورك بالملل أقل كثيرًا.

وهذا يجعلك أكثر قدرة على مساعدة الآخرين. ويقول إن قدرًا معينًا من الثقافة العقلية الكافية للتأمل العميق في العالم لابد وأن يرثه كل من يولد في بلد متحضر. لذا فإنه يؤكد بشدة على أهمية التعليم في جعل الناس أكثر سعادة ورضا.

كان ميل يعتقد أن الثقافة العقلية هي علاج للأمراض الاجتماعية. وكان على ثقة كبيرة، كما كان العديد من العلماء في العصر الحديث، بأننا في نهاية المطاف نستطيع حل مشكلة الفقر. وبوسعنا القضاء على جميع الأمراض.

إن هذين هما المشكلتان الرئيسيتان اللتان تواجههما البلاد. فهو يقول إن الفقر الذي يصل إلى حد المعاناة قد ينقرض تمامًا بفضل حكمة المجتمع وحكمة الأفراد وحكمتهم. بل إن الأمراض قد يتسنى لنا في نهاية المطاف التغلب عليها بفضل تقدم الطب والتكنولوجيا العلمية.

من المثير للاهتمام أن نلاحظ أنه منذ أيام ميل، يبدو أننا تمكنا على الأقل من تحديد مئات الأمراض أكثر مما كان معروفًا في أيام ميل. والآن نعلم أنه بسبب الطريقة التي تعمل بها الفيروسات وتتحول، تتكاثر العدوى الفيروسية والأمراض الفيروسية من عام إلى آخر. لذا أتساءل عما إذا كان ميل ليتفائل إلى هذا الحد بشأن إمكانية القضاء على جميع الأمراض إذا كان يعرف ما نعرفه اليوم عن علم الأوبئة.

هذه هي نظرية المنفعة التي طرحها بينثام وميل. ينبغي لكل شخص أن يتصرف في كل الأوقات على النحو الذي يحقق أقصى قدر من المتعة لكل من يتأثر بأفعاله. وهذه هي الفكرة الأساسية هنا.

وإذا فعل الجميع ذلك، فسوف يكون البشر سعداء قدر استطاعتهم في هذا العالم. وتظل هذه النظرية الأخلاقية الفلسفية الأكثر تأثيرًا، وربما الأكثر شعبية. فما هي المشاكل التي تعيب هذه النظرية؟ لقد وجهت إلى النفعية عدد من الانتقادات الرئيسية.

إن أحد هذه المشاكل هو مشكلة التطبيق. فكيف يمكننا أن نعرف على وجه اليقين ما هي العواقب التي قد تترتب على فعل معين؟ فإذا قررت القيام بهذا الفعل، فكيف سيؤثر ذلك على الناس؟ وإلى أي درجة قد يشعر الناس بالمتعة أو الألم نتيجة لذلك؟ والمشكلة هي أننا كبشر لسنا على علم بكل شيء، أليس كذلك؟ فنحن لا نعرف على وجه اليقين كيف ستسير الأمور. وحتى في كثير من الحالات، عندما نعتقد أن النتيجة يمكن التنبؤ بها إلى حد ما، فإننا نكتشف أننا مخطئون.

أوه، لم أتوقع ذلك. لو كنت أعلم أن ذلك سيحدث، لما فعلت ذلك. كم مرة قلنا ذلك؟ لو كنت أعلم

إننا لا نستطيع أن نتنبأ بالمستقبل فحسب، بل إن إدراكنا للحاضر والماضي محدود للغاية. ولكن النفعية تعتمد على قدرتنا على الحكم من خلال ما اخترناه حتى الآن على النتائج التي قد تترتب على فعل معين. والآن يقول ميل في الرد على هذا إننا تعلمنا ما يكفي من الخبرات السابقة حتى يتسنى لنا في الأغلب الأعم التنبؤ بالنتائج التي قد تترتب على اختيار معين.

حسنًا، قد يكون هذا صحيحًا، ولكن مرة أخرى، وكما شهدنا جميعًا وبسبب حدود فهمنا فيما يتعلق بهذا الموقف الخاص الذي أعيشه، فإن قدرتنا على التكهّن محدودة للغاية، وهي عرضة للخطأ. لذا فإن التكهّن بالمستقبل أو المستقبل أمر صعب للغاية في بعض الأحيان، وخاصة عندما يتعلق الأمر بقضايا مثيرة للجدل. لذا فإن هذه هي المشكلة في التطبيق.

هناك مشكلة أخرى وهي مشكلة العدالة. إذ تعتمد النفعية على النظر إلى المستقبل، وهذا أمر صعب. إنها مشكلة تطبيقية.

إن مشكلة العدالة تنشأ لأن المذهب النفعي لا ينظر إلى المستقبل إلا من منظوره، ولأنه ينظر إلى المستقبل فقط فهو من النوع الذي يعتمد على نظرية النفعية. إنها نظرية تحكم على الصواب والخطأ على أساس عواقب الأفعال. ولأنها تنظر إلى المستقبل فقط فهي في واقع الأمر تواجه مشاكل الظلم بمعنى أنها تبدو وكأنها تسمح بأفعال وسياسات ظالمة يمكن تبريرها على ما يبدو، على الأقل على المستوى المحلي، لأن هناك مواقف قد ينتج فيها الظلم متعة أكبر من الألم.

إذن، هذا نقد كلاسيكي لنظرية النفعية التي قد تبرر العبودية في ظروف معينة. لذا، عندما أقوم بالتدريس حول هذه القضية في فصل معين يضم 30 طالبًا، أسأل أحيانًا عما إذا كان أي شخص يحتفل بعيد ميلاده هذا الأسبوع أو خلال الأسبوعين المقبلين، وعادة ما ترفع يد واحدة أو اثنتين. في فصل يضم 30 طالبًا، ترفع يداً، وهما جو، وجين، وما فعلته للتو لحملهم على رفع أيديهم هو أنني اخترت عبيدنا بطريقة عشوائية للغاية.

عندما يحين عيد ميلادهم، سيكونون عبيدًا لنا في مجتمعنا المكون من 30 شخصًا، وسيقومون بكل أعمال الطهي، وغسل الملابس، والتأكد من أن سيارتنا تعمل بشكل صحيح، كما تعلمون، والتأكد من تغيير الزيت. في كل سيارة من سيارتنا، وسيعتنون بالقضايا المختلفة في مجتمعنا من حيث تغيير المصابيح وما إلى ذلك. هذا ما سيفعلونه، 10 ساعات في اليوم كل يوم، وسنسمح لهم بالاسترخاء بعد ظهر يوم الأحد، على سبيل المثال من وقت الغداء إلى وقت العشاء؛ سيكون هذا بمثابة راحة صغيرة لهم من العمل المستمر. لكننا سنتأكد من حصولهم على طعام كافٍ، وأنهم يتمتعون بأماكن نوم لائقة حتى لا يكون الأمر وكأنهم يعانون من الألم طوال اليوم، فهم يعملون بجِد، ولكنك تعلم أن بقية أفرادنا يعملون بجِد، إنهم مخصصون للعمل لدينا.

إذن، فهم خدمنا، وهذا يجعلهم عبيدًا لنا. والآن، هل يؤدي هذا إلى متعة أكبر من الألم في هذا المجتمع؟ حسنًا، قد يزعم كثيرون أن هذا صحيح بالفعل، لأنه إذا أجرينا نوعًا من حسابات المتعة والألم، فإن قيمة المتعة الإجمالية ستتحسن بالنسبة لنا جميعًا. يا رجل، إذا لم يكن عليّ أن أقلق بشأن غسيل ملابسك. فسيكون هذا رائعًا.

لا داعي للقلق بشأن تحضير طعامي بنفسك، سيكون ذلك رائعًا. أعتبر ذلك على مقياس من 1 إلى 10 زائد 3 أو 5. وإذا أصدر جميع الأشخاص الآخرين، أي 28 شخصًا آخرين في مجتمعنا، نفس الحكم، كما تعلمون 4 فإن هذا يضاعف بشكل إيجابي لصالح العبودية في هذا الموقف. ما مقدار الألم الذي يسببه ذلك لهذين العبيدين؟ حسنًا، دعنا نقول إنه كبير، وهو مجرد هذا العمل اليومي وعدم الاضطرار إلى عيش حياة خاصة مثيرة.

أعتقد أنهم ما زالوا قادرين على الخروج ليلاً. يمكننا أن نقول، نعم، يمكنك أن تستمتع بحياة اجتماعية ليلاً بعد الانتهاء من العشاء وتنظيف جميع الأطباق. لذا، فهم يدركون ذلك، ونعاملهم بلطف، أليس كذلك؟ مرة أخرى، هم يرتدون ملابسهم، ويتغذون جيداً، ويحصلون على قسط كافٍ من الراحة، لكن هذا سيظل سلبياً.

ربما تكون النتيجة، لنقل إنها سالبة 7، 8، 9، أو حتى 10 لكل منها. ومع ذلك، فإن هذا سوف يعوضه أكثر من كل المتعة التي يختبرها بقيتنا. ولهذا السبب، كان من الممكن أن يجادل النفعيون في الدفاع عن العبودية على مر السنين.

ولكن إذا كنت تعتقد أن العبودية غير عادلة، وهو ما نأمل أن تعتقد، فأنت تدرك أنه حتى لو كانت المتعة التي تنتج هنا أكبر من الألم، فإن الأمر يظل إشكالياً، أليس كذلك؟ لأن الأمور قد تكون غير عادلة وانتهاكاً لحقوق الإنسان بحيث يصبح تعظيم المتعة وتقليل الألم أمراً غير ذي صلة. ولكن النفعية تتجاهل هذا لأنها لا تهتم إلا بتعظيم المتعة. وهي تهتم فقط بالعواقب.

لا يتعلق الأمر بالعدالة والحقوق. ولا يوجد مكان في هذه النظرية لاعتبارات العدالة والحقوق. وهذه مشكلة رئيسية أخرى تم تسليط الضوء عليها في نظرية النفعية.

إن مشكلة الحقوق، في هذا السياق، تتجلى بوضوح في سيناريو المتلصص. فالمذهب النفعي لا يستطيع أن يفسر على نحو كاف، على سبيل المثال، حق الخصوصية الذي يتمتع به شخص ما، والذي ينتهكه شخص ما يراقبه خلسة، من خلال نافذة مثلاً، في لحظاته الخاصة. وإذا كان المتلصص بارعاً للغاية ويستطيع أن يقوم بهذا دون أن يعلم الشخص أنه مراقب، فهذا يعني أن المتلصص يستمتع كثيراً، والشخص الذي يقع ضحية لهذا لا يعلم ذلك.

إنهم لا يشعرون بأي ألم. لذا، من وجهة نظر نفعية، يبدو أن هذا أمر يمكن الدفاع عنه. ولكن، نأمل أن يقول معظمنا إن هذا لا يزال خطأ.

ورغم أن العواقب من النوع الذي يجعل الشخص يشعر بمزيد من المتعة هنا، فإن هذا لا يكفي للتغلب على مشكلة انتهاك الحقوق التي ينطوي عليها هذا الأمر. وهذا، مرة أخرى، يُظهر قصوراً خطيراً في النفعية لأنها لا تولي اهتماماً إلا للعواقب والملذات والآلام. وهي لا تولي اهتماماً كافياً للنظر في الحقوق هنا أكثر من اهتمامها بالعدالة.

وأخيراً، هناك ما يسمى بمشكلة المطالب. فإذا كان من مسؤوليتنا دوماً أن نحقق أقصى قدر من المتعة. وتقليل الألم في كل الأحوال، فإن المطالب التي نتحملها باعتبارنا أشخاصاً جادين أخلاقياً تصبح ساحقة. وهذا يعني أننا في احتياج إلى التوقف لمساعدة كل شخص نراه على جانب الطريق يعاني من مشكلة في سيارته.

وهذا يعني أننا نحتاج أن نأنت إلى استخدام قدر معين فقط من الملابس وغيرها من الممتلكات الضرورية لحياة كريمة. وينبغي لنا أن نعطي الباقي للفقراء. وينبغي لنا أن نعطي أي دخل قابل للإنفاق للفقراء.

لا ينبغي لنا أن نقضي كل وقت فراغنا في أي يوم في أوقات الفراغ عندما نستطيع أن نحقق أقصى قدر من المتعة ونخفف من آلام الآخرين. وهذا يعني أنه لا ينبغي لنا أن نندرب على العزف على آلة موسيقية. ولنتأمل، هنا مئات الآلاف من الساعات التي يقضيها شخص يتلقى تدريباً كلاسيكياً على العزف على البيانو أو التشيلو. والتي كان من الممكن أن يقضيها في العمل في مطعم خيري أو مساعدة الفقراء بأي شكل من الأشكال.

إن تنمية موهبة رياضية جادة أو موهبة فنية يصبح أمراً غير مسؤول. وهذه مشكلة بالنسبة لمذهب النفعية لأن أغلبنا قد يقول، على أمل أن يكون، إن التدريب على أن يصبح المرء موسيقياً جيداً أو رياضياً جيداً هو أمر

ملائم أخلاقياً، حتى ولو لم تكن هذه الأشياء ضرورية لحياة الإنسان وبقائه. ويشير مذهب النفعية على الأقل إلى أن هذه الأشياء لن تكون مسؤولة لأنها لا تعمل على تعظيم قدرتنا على تعزيز المتعة وتقليل الألم.

ولأن هذا الأمر غير معقول إلى هذا الحد، فقد حدده العديد من العلماء باعتباره مشكلة خطيرة في النفعية. والمشكلة هنا، والتي تشكل نوعاً من الصعوبة الجذرية، هي أن هناك شيئاً ما يؤدي إلى هذا الضمني في النفعية. فهي لا تميز بشكل كافٍ بين الأفعال الإلزامية والأفعال النافلة.

هذا هو التمييز بين ما يجب علينا فعله وبين تلك الأشياء التي هي جيدة ولكنها ليست إلزامية. إنها فوق واجباتنا. هذا هو ما يسمى بالأعمال النافلة.

إن هذه المطالب تتجاوز حدود الواجب. ولا ترسم النفعية هذا التمييز بشكل كافٍ، وهذا ما يؤدي إلى مشكلة المطالب. وهذه هي المشاكل الأربع الرئيسية التي تعاني منها النفعية الكلاسيكية.

إن هناك نسخة أخرى من النفعية، المعروفة باسم النفعية القائمة على القواعد، تهدف إلى التغلب على هذه المشاكل، وقد تنجح في ذلك عندما يتعلق الأمر بمشكلة التطبيق، ومشكلة العدالة، وربما مشكلة الحقوق. إن النهج الذي تقدمه النفعية القائمة على القواعد هو القول بأننا لا ينبغي لنا أن نتخذ قراراتنا الأخلاقية بالتركيز على الأفعال الفردية. ولنقل إننا لا ينبغي لنا أن نقيم الأفعال الفردية وفقاً لمبدأ المنفعة.

بل دعونا نقيم القواعد والقواعد العامة للحياة ونقيم تلك القواعد وفقاً لما إذا كانت ستؤدي إلى مزيد من المتعة بدلاً من الألم إذا تم اتباعها. هذه هي فكرة النفعية التي تنادي بها القواعد. عيش وفقاً لتلك القواعد التي ستؤدي إذا تم اتباعها إلى أعظم قدر من المتعة لأكبر عدد من الناس.

الآن، هذه نظرية تم الدفاع عنها بالفعل. وقد تم الدفاع عن نسخ مختلفة من هذه النظرية، وكثير منها يقع ضمن الفئة العامة لأخلاقيات العقد الاجتماعي. وسنتحدث عن نظرية العقد الاجتماعي لاحقاً.

يقول أصحاب نظرية العقد الاجتماعي إننا لا بد وأن ننظم المجتمع كله على نحو يضمن وجود قواعد أساسية معينة يتعين علينا جميعاً أن نلتزم بها، وأن نختار فقط تلك القواعد التي إذا التزمنا بها فسوف نحقق أقصى قدر من المتعة في المجتمع. ونحن نعيش في مجتمع كهذا. ولدينا عقد اجتماعي يُسمى دستور الولايات المتحدة.

إننا لدينا قانون للحقوق، وهناك كل أنواع القواعد التي تم توضيحها والتي قرر الآباء المؤسسون للولايات المتحدة أنه إذا نظمنا مجتمعنا وفقاً لذلك، فسوف يمنحنا ذلك أفضل فرصة لتحقيق السعادة على نطاق واسع. وهذا نوع من تطبيق مبدأ النفعية القائم على القواعد. ولكن هناك أشكال أخرى أيضاً.

ولكن في وقت لاحق، في محاضرة منفصلة، سنتحدث عن أخلاقيات العقد الاجتماعي. ولكن هذا كل ما يتعلق بالنفعية.

هذا هو الدكتور جيمس س. سبيجل في تعاليمه عن الأخلاق المسيحية. هذه هي الجلسة الثالثة، النفعية.